النقد

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء — الجزء الأول

للدكتور عبد الوهاب عزام

وعدت القارئ فى المقال السابق أن أعرض عليه بعض ما أخذته على تعليق الناشرين فى القسم الأول من المعجم

والمآخذ هنا أنواع : منها شرح كلمات بيّنة لا يجهلها أحد ممن يقرأون معجم الأدباء ، ومنها غلط فى الشرح ، ومنها فضول بذكر ما لا يحتاج إليه البيان ولا ينتظره القارئ ، ومنها نوع آخر لا أدرى ماذا أسمّيه إلا أن أسميه الشرح المضحك . وسأجتزئ بمثل من هذه الأنواع دون استقصاء :

(أ) فمن الأول الأمثلة الآتية :

ص ٥٢ درى الشىء وبالشىء دراية : وصل إلى علمه

ص ٥٢ حسب ما اقتضاه : قدرما استلزمه . وهذا معنى يعثر عليه بالقرائن اه وأنا أسأل القارئ هل يحتاج إلى قرائن لمثل هذا التفسير ؟

ص ٥٥ القرطاس : الصحيفة التى يكتب فيها ، النىّ : الضلال . النىّ : العجز عن الكلام

ص ٥٦ الفسحة : السعة

ص ١١٣ النصارى : أتباع يسوع المسيح ، الواحد نصرانى نسبة على غير قياس إلى الناصرة أو جمع نصران أو جمع نصرى الخ ، فهل يرى القارئ أن ورود كلمة نصارى فى المعجم تحوج إلى هذا التفسير ؟ وهى لم ترد فى سياق بحث فى الدين أو فى الاشتقاق ، بل لأن بعض المترجمين أخواله نصارى

ص ١١٥ اقترضى : استسلفى . يقال استسلف منه دراهم وتسلف

ص ١٥٧ أجلّك : عظّمك

ص ٢٠٨ سما : علا

ومن العبث الضار أن الشارح ينقل أحياناً عن كتب أخرى ترجمة لبعض أدباء المعجم لا تزيد على ما رواه ياقوت ، كما فعل فى ترجمة إبراهيم بن العباس الصولى ، وفى نقل ترجمة ياقوت نفسه عن شذرات الذهب بعد ترجمة وافية لا تعدو الثانية أن تكون نبذاً منها . ولو كانت التراجم التى ينقلها مفيدة فوائد ليست فى المعجم ما جاز إثباتها ولوجب أن يكتفى ببيان موضعها ليرجع إليها من يشاء . وفى الجزء الثانى من هذا مثال عجيب جداً سيراه القارئ إن شاء الله

(ب) وأما الغلط فسأقتصر منه على ما لا يقبل التأويل والتخريج على الأوجه الضعيفة فى اللغة والنحو حتى لا أفتح باباً للمناقشات الواهية

ص ٤٧ ذكر ياقوت كتاب المرزبانى فى النحو وقال : « إلا أنه حشاه بما رووه ، وملأه بما وعوه ، فينبغى أن يسمى مسند النحويين » وجاء فى التعليق : « المسند من الحديث ما عزى ورفع إلى قائله » وهذا صواب ، ولكنه لا يصلح تفسيراً لكلمة المتن . فالمسند هنا الكتاب الذى يجمع الأحاديث على ترتيب الرواة ؛ وليس كل كتاب فى الحديث يسمى مسنداً ، فلا يقال مسند البخارى كما يقال مسند أحمد

ص ١٠٦ « وكانت كلماته حاملة إياى على هذا التصديع لمجلسه الرفيع » وهذه جملة من رسالة كاتب إلى بعض الرؤساء يقول فيها : إن ما بلغه من ثنائه عليه ، حمله على كتابة الرسالة إليه . فالتصديع هنا كناية عن الكتابة التى تكلف المكتوب إليه مشقة القراءة . ولا تزال هذه العبارة جارية فى بلاد العرب والفرس . يقول المتكلم لمن يخاطبه ، أو الزائر لمن يزوره : صدّعنا كم . أى سببنا لكم الصداع بكلامنا الخ . فقول الناشرين فى الحاشية فى تفسير الجملة السابقة : « صدعت إلى الشىء ملت إليه » خطأ

ص ١٠٨ فى ترجمة أبان بن عثمان : « يعرف بالأحمر البجلى أبو عبد الله مولاهم » فسرت كلمة مولاهم بهذه العبارة : « من الشيعة » وهذا غلط ، والمراد بها أنه مولى بجيلة . ومثل هذا شائع فى التراجم . مثلاً يقال : محمد بن الحسن الشيبانى مولاهم . أى مولى بنى شيبان . الخ

ص ١١٠ « ابراهيم بن عبد الوهاب الابزارى الطبرى » وفى الحاشية : « نسبة إلى طبرية » والمعروف أن الطبرى نسبة إلى طبرستان ، وأن طبرية يقال فى النسبة إليها طبرانى ، ومنها

الحافظ أبو سليمان الطبراني المحدث المعروف

ص ١١٠ بنو حمدان ممن استقلوا بالموصل ... وكان مقر ملكهم الموصل وأشهرهم سيف الدولة ... الخ . والمعروف أن سيف الدولة لم تكن له إمارة بالموصل بل في حلب ، وأن أمارة الحمدانيين بالموصل ورثها ناصر الدولة وحده

ص ١١٧ استحلفني : أقسمت له يميناً بناء على طلبه . ويرى القارئ ما في هذا التفسير

ص ١٢١ « ونهى النبي عن لبس السراويل المخرجة » . وفي الحاشية : « خرفج الشيء أخذه أخذاً شديدا . وكأنه يريد أنها أخذت وهي تخاط أخذاً حتى ضاقت فصارت بحيث تصور أعضاء الجسم لضيقها . » وهذا تفسير بالنقيض . يقال عيش مخرفج أي واسع ، والسراويل المخرفجة الواسعة التي تسقط على ظهر القدم . وبهذا فُسر الحديث

ص ٢٢٢ في الحاشية : رماح خطية منسوبة إلى الخط : مكان فيه شجر تصنع منه الرماح . والصواب : أن الخط بلد في البحرين تجلب إليه الرماح من الهند . قال في اللسان : وليست الخط بمنبت الرماح ، ولكنها مرفأ السفن التي تحمل القنا من الهند »

(ح) وأما الفضول في الشرح فمن شواهده :

ص ١٠٢ ذكر في المتن الجواليق بمناسبة أبي منصور الجواليقي ، فقال الناشرون في الحاشية : « الجوالق والجواليق وعاء من صوف أو شعر مندوف وهو الذي تقول عنه العامة شوال : قال الراجز .

يا حبذا ما في الجواليق السود من خشكنان وسويق مقنود

أي مختلط بالقند : وهو عمل قصب السكر ؛ يقال : سويق مقنود ومقند . »

فاذا أغضينا عن التسوية بين الجوالق والجواليق في الشرح مع أن الأول مفرد والثاني جمع نجد الشارح أتى بالرجز لا شاهدا بصحة تفسيره ولكن لاشتماله على كلمة الجواليق ، ثم استطرد لتفسير المقنود الخ

وص ١٠٥ الصنائع جمع صنيعة وهي الجميل والمعروف

قال الشاعر :

إن الصنائع لا تكون صنيعة حتى تصيب بها مكان المصنع

وفي الحديث صنائع المعروف تقي مصارع السوء

ص ١٥١ وأغرب من هذا ما جاء في ترجمة ابراهيم بن سمدان ، فقد أبى الشارح إلا أن يشرح ، فلما قال ياقوت : « وكان لسمدان ابن المبارك النحوي ابن يسمى ابراهيم » كتب هو في الحاشية : « سمدان علم منقول . والسمدان نبات من أحسن المرعى وأجوده يضرب به المثل ؛ فيقال في الشيء يحسن ولا يبلغ في الحسن درجة غيره : ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسمدان . »

وص ٢٣٨ « وهذا قول متمرد على الله مستمر بامهال الله »

وفي الحاشية : أغراه إمهال الله استدراجا له فتمرد وتعادى . وفي الحديث إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته . وقال تعالى : « وأملي لهم إن كيدي متين » ، « فمهّل الكافرين أمهلهم رويداً »

وظاهر أن سوق الحديث والآية الأولى شرح للموضوع لا للفظ وهو فضول هنا . ومصدر هذا كله أن الشارح لا يسير على خطة ، فهو حيناً يستطرد بما لا حاجة إليه ، وحيناً يترك ما يحتاج إليه القارئ . بل أحسب أن للكتاب شراحاً مختلفين ليس بينهم اتفاق ؛ ولهذا أدلة فيما يأتي

وأما ما سميته الشرح المضحك فمن فكاهاته :

ص ١٣١ في سياق الكتاب : « فجاء كتاب بعض بني مارقة من الصراة » فأراد الشارح أن يعرف القارئ بني مارقة فقال : « بنو مارقة قوم يسكنون الصراة » قلت : وفوق كل ذي علم عليم !

ص ١٦٥ في الكلام على ابراهيم الصولي ويزيد بن المهلب : « حتى قتل يزيد يوم المقر » . وفي الحاشية : يوم المقر بفتح الميم من أيام العرب ، قتل فيه يزيد بن المهلب » فهل زاد الشارح على ما فهمه القارئ من الكتاب ؟ على أن قتل يزيد كان في أيام بني أمية ، وأيام العرب تقال غالباً لأيام الجاهلية

ص ١٦٧ روى ياقوت أبياتاً أولها : ولكن الجواد أبا هشام ، الخ ثم قال بعد الأبيات : « وهذا الشعر يدل على أن قبله غيره » فقال في الحاشية في تفسير كلمة « غيره » : أي من الشعر

ص ١٠١ هراة بفتح الهاء والراء بلد ، النسبة اليها هروي . وبلخ بفتح وسكون يصرف ويمنع من الصرف ، وإليها ينسب أبو معشر البلخي » . لم يبال الشارح أن يبين أين هراة وبلخ ، ولكن اهتم بأن يبين أن بلخا ممنوعة من الصرف أو مصروفة . ثم قوله في هراة « بفتح الراء » لغو لأن ما قبل الألف لا يكون إلا مفتوحاً

هذا وموعدنا العدد الآتي لنبين بقية مآخذ الجزء الأول وبعض مآخذ الجزء الثاني . والله المستعان عبد الوهاب عزام